الجماعة السلفية للدعوة و القتال (في الجزائر)

(مَن لي بمِثلِ أبي سَلَمَة "الزرقاوي")

الكاتب: أبو عبد الرحمن العدوي (حفظه الله)

ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من أصيب بمصيبة فقال إنّا لله و إنّا إليه راجعون، اللهمّ أؤجرني في مصيبتي و اخلف لي خيرا منها إلا أخلفه الله خيرا منها).

فلمّا توفي أبو سلمة -رضي الله عنه- قالت أم سلمة رضي الله عنها: و من لي بمثل أبي سلمة ثم استرجعت و دعت بالدعاء المأثور رضا و تسليما و انقيادا لقول الصادق المصدوق -صلى الله عليه و سلم-.

فكان من رحمة الله تعالى بها أن ألقى في قلب عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- فقالت: و الله لأجدن خيرا من أبي سلمة، ثم تقدم لها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فقالت له مثلما قالت لعمر، ثم خطبها رسول الله -صلى الله عليه و سلم- لنفسه فأعاضها الله خيرا من أبي سلمة جزاء صبرها و احتسابها، هذا ما يرويه أهل السير.

بهذا الأثر النبوي يتضح أن الإنسان قد يصاب بمصائب وتحصل له آلام، فهذه حقيقة فطرية يشترك فيها البشر بمختلف أنواعهم و تعدد معتقداتهم.

و لكن شتّان بين الحالين، حال يسترجع فيه المؤمن و يعلـم أنّ ما أصابه هو أمر الله و قدره و لا خروج له عن قدره و لو رام المحال و تسبّب بجميع الأسباب فيستسلم لأمـر ربّـه و يرضى بقدره فتتجّلى له معاني الصبر و الثبات ما يعـان بهـا علـى سـلوك الطريـق و يسـهّل عنـه المشـاق فيسـير فـي سبيله منشرح الصدر مرتاح البال و لسان حاله يقول: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا}، أما غيره فيتضجّر و يسـخط و يدافع الأقدار و أنى له ذلك فيحرم الأجر و يجري عليـه مـا قضاه الله تعالى رغم أنفه {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}.

و قد أرشدنا إلى التعامل مع مثل هذه الأحداث و المصـائب و لـولا ذلـك لخرجنا عـن الصـبر و الثبات المصـيبة وعِظـم الفاجعة، وخاصّة ما أصاب المسلمين خصوصا المجاهدين من فقدان أسد من الأسـود و إمـام عـن أئمـة وقائـدا مـن القواد و نحن في أشدّ الحاجة إليه في هذا الوقت الذي كثر فيه المخذّلون و ظهر فيه النفاق و قلّ فيه الناصر و المعين ورمانا القريب و البعيد عن قوس واحدة.

و إني حائر لمن أقدّم التعزية ؟! ثم أهي تعزية أم تهنئة ؟...

أَلِنفسي التي ما عادت تحتمل فقدانا و هو الذي كنت أعلّق عليه الآمـال بعـد اللـه تعـالى أم لأمـة فجـر بـان ضياؤه ولاح للأفق نوره،ملك عليّ نفسي حتى أنّ صحت خطبه وتوجيهاته تأثّر في نفسي تأثيرا عظيما..

تواضع في علو و جهاد مستمر و حركة دائمة وعطاء منقطع النظير.

أم أعـزّي أبطـال الجهـاد و جنـود الرحمـان أولئـك الرجـال الذين ركبوا الصعاب، و إني أعجب مـن أي معـدن صـنعوا و من أي معدن خرجوا، وقفوا حين قعد من لزمـه الوقـوف و

خاضوا الغمـار حيـن أحجـم الخـبراء و القـادة،أولئـك الـذين يصدق فيهم قول الله تعالى: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}.
أم أعزّي الأمّة الجريحة الـتي مـا فـتئت تخـرج مـن سـباتها وتنفض ما علق بها منذ عقود من الزمان حين بـدأت الحيـاة تـدبّ فـي أعضـائها و الأمـل ينبعـث مـن طياتهـا، جـاء هـذا الحدث و نزلت هذه النازلة التي حلّت بالأمّـة و نزلـت علـى الملة.

أم إلى إمام المسلمين و شيخ المجاهدين الذي ازداد حملـه و عظمت الأمانة التي حملها دون غيره.

إلى هؤلاء جميعا أقول {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}، صبرا علـى فقـد أخ مربي و إمام مجدد و عالم علامة.

يا من بعثت في النفوس الآيسة الأمل، و أحييت بفضل اللـه العزائم التي خملت و انقطعت حركتها.

من يفكّر فـي هـذا الزمـان أن يقـف متحديا قـوى الكفـر و الطغيان بكافة أشكالها و جميع أنواعها، بل من يفكّر بنبزهم أو لمزهم و لو في خفاء، حـتى صـار الكثير ممّـن ينتسـب للعلـم و العلمـاء يـأن التفكيـر فـي مواجهـة طاغيـة العصـر ضرب من الخيال.

فهنيئا لك يا من رفع الله به منار الإسلام و أعزّ بـه راية الإيمان و رسخ به أركان التوحيد و الجهاد..

هنيئا لك يا سعد الزمان الذي اهـتز لمـوته عـرش الرحمـان لما كان يحمل من الولاء و البراء من أجل دينه و عقيدته.

هنيئا لك يا صلاح الـدين حيـن مرّغـت أنـوف عبّـاد الصـليب وأحفاد القردة و الخنازير و من سار على شاكلتهم.

لقـد كنـت حقّـا نـورا و نـارا، نـورا لأهـل الإيمـان و جنـود الرحمان، نورا إستضاء به ليل المستضعفين البهيـم و ظلام اليائسين الغشيم فسرّوا به و ساروا على دربه مستبشـرين بفجر قريب بعدما يئسوا زمانا طويلا فجزاك الله عنهم خيرا و لك أجرك و أجر من كنت السبب في هـدايتهم مـا تعـاقب الليل و النهار.

و كنت نارا على أعداء الله الملحـدين أشـعلتها عليهـم فلـم يهنأ لهم عيش ولم يستقر لهم قرار أفْسدت عليهـم نـومهم كما أفسدت عليهم يقظتهم.

تراهم يجتمعون و يتشاورون علّهم يخرجون مـن مأزقهم و نارك محيطة بهم من كل جانب.

لقـد عجـزوا و اللـه عـن مواجهتـك و إطفـاء نـارك لوك منازلـة الأقران و ما ذاك إلاّ لجبنهم و خورهم فراحوا يكيدون و تلك عـادتهم و بمعاونـة ممـن بـاعوا ضـمائرهم و انسـلخوا مـن دينهم و فقدوا رجـولتهم فـدبروا فعلتهـم الشـنيعة فقضـيت نحبك بقـدر اللـه، و زاد سـجلهم الأسـود دالـة أخـرى إلـى خستهم و هوانهم فهنيئا لك الحياة إن شاء اللـه وإن كنـت فارقتها بجسدك فلقـد ذاع صـيتك و رفعـت درجتـك فهكـذا يعيش الرجال و يموتون.

فاللّهمّ تقبّله في الشـهداء عـلى سـنته وأسـعده بقولـك: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

أمّـا أنتـم يـا أسـود الإسـلام و جنـود الرحمـان فلا تهنـوا و لا تحزنوا بل أبشروا و استبشـروا، كيـف تهنـوا و قـد تقـدّمكم قائدكم وأميركم يخطّ لكم الطريـق و يوضّـح لكـم السـبيل -طريق العزّ والتمكين- و لقد قال فصدق و عاهد فوفّى.

إنّ جهادكم قد كدّ رجال من أجله ومن أجل إعادة الحق المسلوب و الملك المغتصب فمن رفع رايته و دعا إليه و حرّض عليه فلا ينتظر أن يفتح له الناس الصدور و يتلقّوه بالترحاب و التبجيل، بل عليه أن يحضّر نفسه و يذوق عضّ السيوف و لسع الألسنة، هذه هي تكاليف الجهاد، إنّه ليس خطب رنانة و ليس هو غنائم و سبايا و نصر مؤزر بل فيه تطاير الأشلاء و فقد المال و المعين و هو المشقة العظمى و لكم فيمن مضى الأسوة فلستم الأوائل بل أنتم حلقة في سلسلة طويلة يَقْدُمها سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، بل شهداء أحد و الرجيع و مؤتة و القائمة طويلة و لن ينتهي إلى أن يرث الله الأرض و من عليها قال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً }.

إنها سنة الله في التدافع و لكنّ العاقبة للمتقين قال تعالى: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً } [النساء: 141]

إخواني و إن كنت لست أهلا لأقول لأمثالكم هذه الكلمات و النصائح و لكن هذه هي السنّة في التواصي بالصبر و التواصي بالحق قال تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، نعم الأيام دول و لكنّ العاقبة للمتقين.

فأنتم دعاة حقّ و حاملوا راية و أتباع رسل كما جاء في حديث هرقل لأبي سفيان (و كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة).

أيها الغرباء أهنّئكم و لا أعزّيكم، أهنئكم على صدقكم و ثباتكم على مبادئكم تجاهدون في سبيل الله و تقارعون عبّاد الصليب تلقنّونهم الدروس تلو الأخرى موقنون بوعد الله لكم، دافعون ضريبة الخلافة الإسلامية.

فاثبتوا إخواني على الطريق و احذروا الفرقة و الإختلاف، و احذروا من الخونة أن يشتّتوا جمعكم و يضربوا ثقة بعضكم فتنشغلوا عن عدوّكم و تذهب ريحكم، و احذروا من المنافقين أن يبثّوا في صفوفكم الإنشقاق أو يعملوا فيكم بالأراجيف، فكونوا يدا واحدة على من سواكم و الله يحفظكم و يكفّ شرّ عدوّكم، قال تعالى: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

وكما لا أنسى أن أتقدّم بتعزيتي إلى أمّة الإسلام بفقدها الابن البار و القائد الهمام و أقول لها إن فَقَدْتِ اليوم أبا مصعب الزرقاوي فإن ساحة الجهاد مليئة بالرجال الغيورين على دينهم و أمتهم.

و لكن أمّة الإسلام هل حقيقة أعطيت لك ما يستحقّه ؟ هل أعطيتيه مكانه ؟ أم أسلمتيه للعدو و تركتيه وحيدا غريبا يصارع الأهوال الصعاب، هل هذا جزاؤه منك ؟

أمّة الإسلام إن اعترفت بالتقصير في حقّه و إجحافك في نصرته بل خذلانه و تثبيطه فلن يتكرر منك هذا الفعل مع بقيّة أبنائك.

و اعلمي أمّة الإسلام أنّه لن يقل أحد فاوي فقد ترك الآلاف من ورائه فإن كنت حقا صادقة في دعوتك فلا تتخلّي عن هذه التركة و أنّها أمانة في عنقك و أخالك تتردّدي مرّة أخرى، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}.

أمّا أنتم يا عبّاد الصليب و أحفاد القردة و الخنازير و من سار على نهجهم و اقتفى أثرهم و اتّخذهم أولياء وأنصارا من الخونة و المرتدين و غيرهم من المخذّلين و الرافضة الحاقدين، إلى هؤلاء أقول لا تفرحوا كثيرا فإنّ سروركم

يعود حزنا بإذن الله و فرحكم يعود مأتما و عـويلا، و إنّ غـدا لناظره لقريب {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ}.

فـإنّ ديننـا و معتقـدنا لـن يقـوم إلاّ بالبـذل و العطـاء؛ بـذل الدماء و الأرواح و جثث العظماء و الكـبراء، قـادة ميـادين و أبطال معارك لا يعرفون الجبن و الخور، إن كنا فقدنا قائــدا فإن طريقنا و سبيلنا ليس متعلقا بالأشـخاص و الرمـوز بـل هي سنة الله القدرية في الـذين خلـوا مـن قبـل و لـن تجـد لسنة الله تبديلا، إنّ قتلهم لن يزيدنا إلاّ إصرارا و ثباتا علــى حربكم و الإنتقام منكم و لكم فيما مضى معتبر؛ في خيبر و الرمـوك و عين جالوت والزلاقة ،و إن غدا لناظره لقريـب، قال تعـالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُـنَّ عَلَى الَّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِـي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّـنَ لَهُـمْ فِـي الْأَرْضِ وَنُـرِيَ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَـا مِنْهُـم مَّـا كَـانُوا يَحْذَرُونَ}.

فنسأل الله أن يسلّطنا عليكم قتلا و تشريدا، تعـذيبا و تنكيلا حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله.

و أخيرا أقدّم تعزيتي إلى شيخنا أبـو حامة قـرة عيونـا،فـأنت بعد الله سبحانه و تعالى أملنا و أسأل الله أن يعزّ بك دينه و أولياءه، فأحسن الله عزائك، و رزقك الصبر وأيّـدك بعـونه و أسأله أن يخفّف عنك حمل هذه الأمانة قال تعـالى {وَرَبُّـكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}.

فأبشر شيخنا فو الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتمكّن للدّين و ترفع راية الإسلام و تدعو الناس لتحقيق التوحيـد و مـا جـاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي و أخرجه قومه، فإنّـا للــه وإن إليه راجعون.

المصدر: الجماعة - العدد الثامن
(مجلة دورية تهتم بشؤون الجهاد الجزائري)

جمادى الثانية 1427 هـ
يونيو/حزيران 2006 م